المحاضرة التاسعة

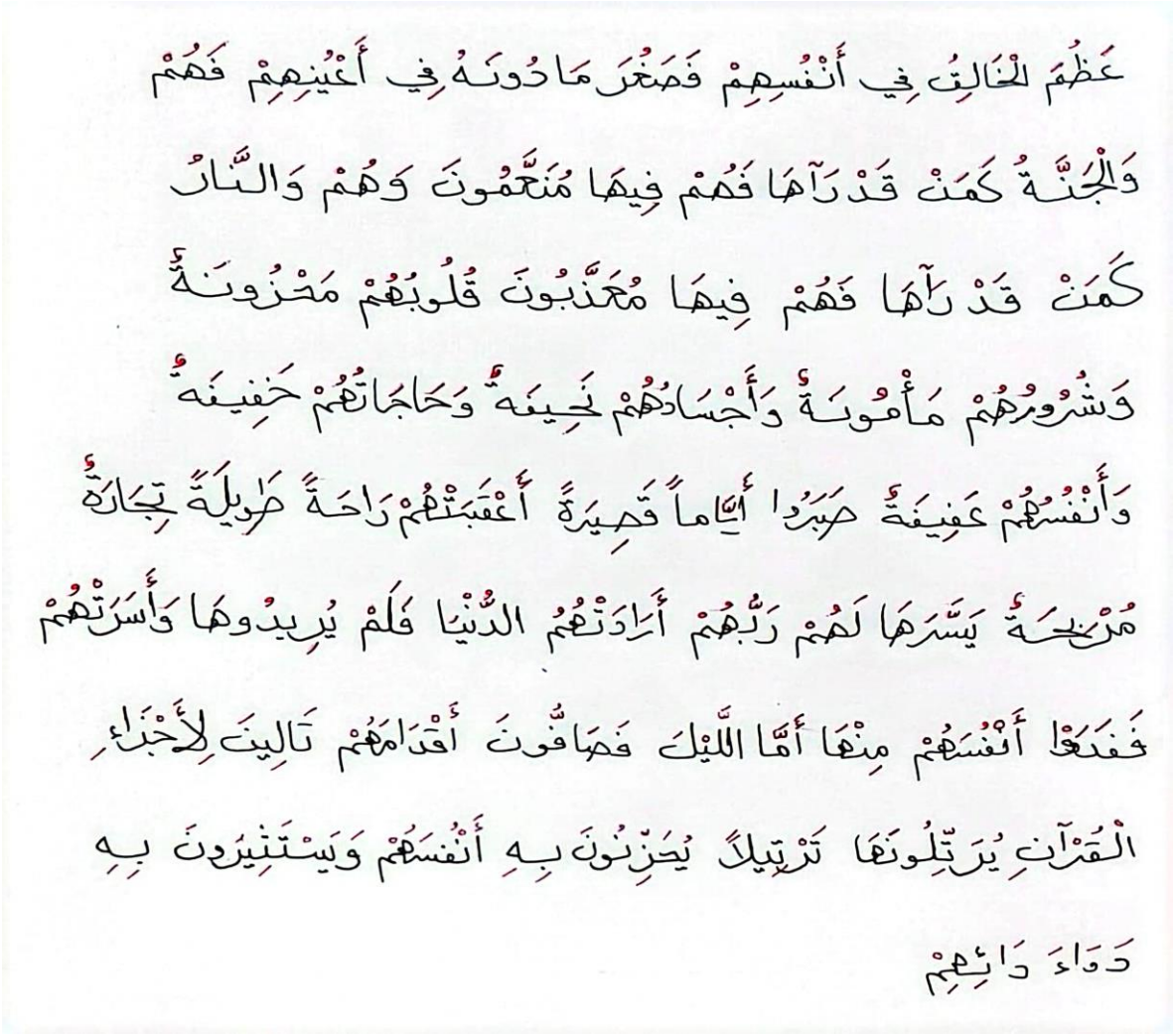
عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ
وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ
كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ
وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ
وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ
مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ
فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ
الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ
دَوَاءَ دَائِهِمْ

معاني المفردات

١ـ صغُر: حقر وانحط قدره

٢ـ محزونة: كئيبة

٣ـ الشرور: جمع شر، وهو نقيض الخير، إسم جامع للرذائل والخطايا.

٤ـ النحيف: الهزيل، كان قليل اللحم.

٥ـ مربحة: مفيدة ربحاً

٦ـ الفدية: ما يعطي عوض المفدي.

٧ـ الترتيل: التبيين والإيضاح

٨ـ يستثيرون: يحركون ويوجدون الإثارة

شرح النص

٨ـ **(عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ)** عظم الله في أنفسهم لأنه لا يُرى بالعين وصغرت جميع الاشياء في أعينهم لأنهم أدركوا عظمة الله سبحانه وحقارة ما هو دونه، فكلما تعمق الإيمان وتجذر في النفس خفّت في مقابله الدنيا وما فيها وكلما كبر الله وتجسدت عظمته صغر كل ما دونه من طواغيت وجبابرة فتصبح أمام الله هباءً منثوراً.

ـ ومن كلام له ع وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال ع :أفأعبد ما لا أراه؟ قال: وكيف تراه؟ قال ع:

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

٩ـ **(فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ)** إن الإنسان إذا طال فكره في شيء ارتسم ذلك الشيء في نفسه فارتسام النعمة رتبة من رتب التنعم فهم من شدة تصديقهم لوعد الله فكأنهم يعيشون تلك الحالات حية قائمة ماثله أمامهم ينظرون إلى الجنة كما رسمت لهم و يتصورون نعيمها ويعيشون لذة روحية وكذلك بالنسبة للنار فهم يتصورونها كما وضعها الله تعالى فيعيشون كأنهم معذبون فيها متألمون.

١٠ـ **(قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ)** خوفاً من التقصير والتفريط وذكر (قلوبهم) لأن (المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه) وباب من أبواب الشكر الحزن في القلب، فقلوبهم محزونة لأنهم لا يدرون ماذا يُصنع بهم لكنهم لا يحزنون على الأمور الدنيوية بل حزنهم في أمور الآخرة.

١١ـ **(وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ)** تأمن الناس شرورهم لأنهم لا يؤذون أحداً لأن التقوى طهّرت تلك القلوب فعادت كما ولدت طاهرة مطهرة لا تؤذي.

١٢ـ **(وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ)** لكثرة تفكرهم وعملهم وقلة أكلهم وصيامهم وتهجدهم فهم لا يفكرون في اللقمة بل زاهدون فيها بقدر ما يسدُ رمقهم.

١٣ـ **(وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ)** المؤمن لا يرغب بكثير من الدنيا بل يرضى باليسير ويقتصرون على ضروريات الحياة (تُرابي)

١٤ـ **(وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ)** العفة من العف أي الكف وهو أن يتوسط الإنسان بالقوة الشهوانية فهم مكتفون بما أحله الله لهم تأبى أنفسهم كل ما يهين ويشين.

١٥ـ **(صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً)** أيام الدنيا أيام قصيرة فصبروا على أذاها وظلمها وحرمانها فأعقبتهم بهذا الصبر راحة في الآخرة حيث كانت عاقبتهم الجنة.

ورد في نهج بلاغة: الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي.

(تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ) عمل الإنسان في الدنيا بمثل التجارة يعمل هنا ويجزى في الآخرة (وهذه استعارة) وعبر بـ(مربحة) لأنها قليلة ومدتها قصيرة بينما عوضها في الجنة كثير دائم لا يفنى (يسرها) أي سهلها لهم.

١٦ـ **(أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا)** اعرضوا عن الدنيا ولم يصرفوا وقتهم في تحصيلها وإنما صرفوا أوقاتهم في تحصيل الآخرة وكانت الدنيا تريدهم و تتزين لهم وتبسط لهم كل وسائل الإغراء فرفضوها بكل زينتها و الاقتراب منها والخوض في غمارها.

١٧ـ **(وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا)** جعلتهم الدنيا أسرى لنفسها بمتعها واغراءها وتزيينها لهم حتى يطلبوها فكان فعلهم أن فدوا أنفسهم بتركها و زخارفها.

١٨ـ **(أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ)** يصفون أرجلهم واحدة بإزاء الأخرى قائمين تالين للقرآن ترتيلاً (إظهار الحرف والوقف على الوقوف أو التدبر أو هما معاً) ويحوي القرآن التخويفات فعند مرورهم بها يحزنون لما يرون من آيات العقاب و المعصية حيث يؤدب القرآن قارئه.

١٩ـ **(وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ)** أي يهيجون بالقرآن، و المراد هو الحزن والكمد الحاصل للإنسان بسبب الهموم فإن بكى سكن وأوى الكائن في قلبه، أو أن المراد هو التعريف على علاج الرذائل من القرآن الكريم و التي هي داء.